ذوو الإعاقة
في الثقافة العربية والإسلامية

يحيى بن أفلح الحضرمي
باحث في جامعة الحسن الثاني (دكتوراه) - الدار البيضاء

ينظر المفكرون اليوم إلى الثقافة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية، ففي الوقت الذي يوجد فيه الأطفال في مناخ منظم متكامل، من المفاهيم والتصورات والعقائد، فإنهم يتشربون هذه القيم ويمتثلون هذه العناصر الثقافية عفويًا أو إراديًا، عن طريق المؤسسات التربوية القائمة كالأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام.

فالثقافة القائمة تمارس نوعًا، من الإكراه الاجتماعي على الأفراد، وأنّ التربية عملية ثقافية تشتق مادتها وتنسج أهدافها، من واقع الحياة الاجتماعية ومن ثقافة المجتمع، والثقافة تستمر عبر عملية اكتساب الأفراد أنماطها ومعانيها، بواسطة عمليات اجتماعية، هي تربوية في جوهرها ويشير هذا القول، إلى عملية التفاعل العميق، التي تقوم بين النظام التربوي والثقافة القائمة بمعنى إذا كانت التربية عملية ثقافية، فإنّ الثقافة عملية تربوية في جوهرها.[١]

وقد عالج المجتمع العربي، مثل غيره من المجتمعات مشكلة الأفراد ذوي الإعاقة بما أوحته له ثقافته، ولقد لعب التضامن القبلي والعائلي دورًا كبيرًا وفعالاً، في الأخذ بيد ذوي الإعاقات في معظم المجتمعات الانسانية، وخاصة في مجتمعنا العربي، ألا يقول العربي: (أنفك منك وإن كان أجدع) و (يدك منك، وإن كانت شلاء).[٢]

المعاقون وأنواع الإعاقة في الكتابات العربية والإسلامية :

وتبارى كثير من الأدباء، وأصحاب التراجم والمؤرخين، في حفظ آثار من برز من المعوقين في العلم والأدب، وتشي أخبارهم وتدوينها، دلالة على ما كانوا يحظون به من تقدير وتواصل ومشاركة فعالة في الحياة العامة وذلك[٣]:

١- كأبي عثمان عمرو الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ الذي دون في (كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان)

الكثير من أخبارهم، حيث قال: « إن جماعة منهم كانوا يبلغون مع العرج مالا يبلغه الأصحاء ومع العمى ما لا يدركه البصراء «، ولقد وصل الجاحظ بكتابه هذا، إلى قمة سامية من الأدب الإنساني الرفيع، لم يدانه فيها من طرقوا هذه الناحية من الإنسان، سواء ممن عاصروه من أمثال الهيثم ابن عدي، أو محمد بن حبيب في كتابه المحبّر أو ابن قتيبة في المعارف، أو ممن أتوا بعده كصلاح الدين الصفدي، في كتابيه: نكت الهميان في نكت العميان، والشعور بالعور .

٢- ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٦٧ ه، في كتابه (المعارف) الذي أفرد فصلا في آخره، تعرض فيه إلى أشرف العميان، في الجاهلية وفي صدر دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم -خص منهم، أبا قحافة والد أبي بكر الصديق، وأبا سفيان بن حرب، وعبد الله بن العباس بن عبد المطلب وأبوه العباس ، وأبوه عبد المطلب .

٣-جمال الدين بن الجوزي في كتاب(تلقيح فهوم أهل أثر في عيون التاريخ والسير من المعوقين) وقد خص منهم بالذكر بعض الأنبياء عليهم السلام، كإسحاق ويعقوب وشعيب، وبعض فرسان القبائل ورؤسائها، في عرب الجاهلية، كعبد المطلب ابن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وكلاب ابن مرة، وغيرهم .

٤- صلاح الدين الصفدي، المتوفى سنة ٧٩٤ هـ، في كتاب (نكت الهميان في نكت العميان) أفرد في أوله ثلاث مقدمات ؛ تتعلق الأولى في معنى العمى في اللغة والاشتقاق، والثانية بتصريفه وإعرابه، والثالثة في حد العمى والأعمى، كما أنّه لم يستغن، عن ذكر الإعاقات الأخرى كفقد السمع مثلاً .

ثالثا: نماذج من ذوي الإعاقة في الثقافة العربية والإسلامية :

١- الأصم(أحد أئمة القراءات) الإمام قالون بن نافع :

أحد ثلاثة أئمة يقرأ العالم الإسلامي منهم ويتعلمون عنهم، ويأخذون من أسانيدهم، وهو شيخ القراء في زمانه، ويقرأ شطر كبير، من أفريقيا اليوم بقراءة قالون، وكان قد حرم نعمة السمع لكنه تواصل من خلال قراءة الشفاه، فكان يقرأ شفاه الأئمة والصحابة والتابعين، ثم يحولها بعد ذلك إلى قراءة بإسناد، ويتلقاه عنه الناس، وينتفعون بها إلى اليوم.[٤]

٢- الأصم الوزير الشاعر الكاتب: أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعي صاحب أول قصة إمتاعيه طويلة، في أدب العربي هي قصة التوابع والزوابع، يقول عنه ابن بسام: «وكان أبو عامر شيخ الحضرة العظمى وفتاها، ومبدأ الغاية ومنتهاها، وينبوع آياتها، ومادة حياتها ...»[٥]

٣- أصم يقرا الشفاه: عبد الرحمن بن محمد بن عثمان الأسدي، إنّه كان أصماً، ولقب بالأطروش، وبلغ من براعته وذكائه أنّه كان يلحظ حركات الشفاه، لمن يكلمه فيفهم عليه وكان يستطيع قراءة الكتابة في الهواء، وهو من شعراء بني أمية، في عهد عبدالرحمن الناصر، ذكر ابن الفرضي في معرض ثنائه عليه، قال : «وكان نحويا لغويا، فصيح اللسان، شاعرا جزل الشعر، مرسلاً بليغاً، طويل قلم، وكان يُرمز إليه بالشفاه فيفهم».[٦]

٤- الأصم صاحب (كتاب الجامع) الشهير في سلطنة عمان بجامع ابن جعفر:

العلامة الفقيه أبو جابر محمد بن جعفر الأزكوي، ويذكر السيابي في كتابه أصدق المناهج: أن ابن جعفر كان أصمّ، وأنّه من أعاجيب الزمان، بل إنّه من الآيات الاعتبارية، في الأمور وقد شارك في إدارة أمور عُمان في عهده، إن إصابته بالصمم لم تكن مع مولده، وربما كانت إصابته بالصمم من العوامل التي جعلته لا ينطق إلا بما تهوى نفسه، ويستريح له فكره، مما جعله من العلماء الذين يحظون بمزيد من الاحترام.[٧]

ولقد كان مرجع الفتوى في عُمان في زمانه، إلى ثلاثة من ذوي الإعاقة، أعمى وأعرج وأصم فالأعمى، هو أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي[٨]، والأعرج هو أبو عبيدة نبهان بن عثمان، والأصم هو أبو جابر محمد بن جعفر الأزكوي.

عاش ابن جعفر في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع، وكانت له آراء تميز بها حادثة عزل الإمام الصلت بن مالك، عن الإمامة (النظام السياسي للحكم في تلك الفترة) كما أشار إلى ذلك السالمي، صاحب كتاب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان[٩]

(١) بودون روف بوركو: المعجم النقدي لعلم الاجتماعي، ترجمة سليم حداد ط٤(المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع)، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣٠ بالتصرف.

(٢) محمد الراجحي وآخر: دراسة حول تربية المعوقين في البلاد العربية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم(إدارة البحوث التربوية)، تونس، ١٩٩٢، ص:١٧

(٣) محمد الراجحي وآخر: دراسة حول تربية المعاقون في البلاد العربية، المنظمة العربية للتربية و لثقافة والعلوم (إدارة البحوث التربوية) تونس ١٩٨٢، ص:١٧

(٤) جابر فاير: حقوق المعوقين في تشريعات والقوانين العربية والدولية، مدينة الشارقة لخدمات الإنسانية، ط١، ٢٠٠٥ ص:٢٠٠

(٥) انظر إلى :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط٤، ١٩٩٧

(٦)انظر إلى: تأريخ الأندلس لابن الفرضي، الدار المصرية للتأليف والنشر، ط٤، ١٩٩٦م

(٧) الجامع لابن جعفر، وزارة التراث القومي والثقافة ج١، تحقيق عبدالمنعم عامر، سلطنة عمان، ط٢، ١٩٨٩م ص:١٢

(٨)انظر إلى: السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، وزارة التراث القومي والثقافةج١ ،تحقيق كاشف سيدة، ط٢، ١٩٨٦م

(٩) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الأمام نور الدين السالمي، مسقط، ط١، ١٩٩٥ م، ص:١٩٧